تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

من صدى الدموع التى سكبت :

لله هذا القلم الذى تقلبه بين أناملك فيسطر كلمات هى فى أغوار القلب أنغام وألحان — فيها الشجن العارم والحزن المقيم ، وفيها الحنان الشفيف والأخوة السامية ، وفيها الإنسانية تحلق فى جواء مترعة من الأفكار وعالم حالم من الصور ؛ هنالك حيث يلتقى الناس إخوة — وتتناجى الأرواح فى همس .

كم حلقت بى كلماتك الدابغة التى تنفس على صفحات الرسالة والتى قرأتها اليوم — تلك القصة الرائعة التى سجلها قلمك الحى والتى أعجب أنك إنما صغتها من كلمات وكلمات فقط . نعرفها جميعاً ونقرؤها كثيراً ، ولكنها تتجمع هنا وتتآلف لتكون لحناً وتصوغ سمفونية خالدة !

قصة الدموع التى شابت ! كم حركت الشجن فى صدرى ، وكم أثارت كوامن الحزن فى نفسى — نفسى التى عرفت الحزن وألفته وهامت به ، الحزن الذى يصقل النفس ، ويبلور العواطف ، ويجنح بالفكر إلى العلو ..

هذا الصديق الذى كان لحناً توارى بين لجاج الصمت ، وكان حلماً تبدد على صيحة مفزعة لملك الموت — هذا الإنسان الذى عاش فى حساب الزمن سنوات قلائل ، وعاش دهراً فى حساب التجارب والمحن .. هذا الإنسان الصديق ، الذى لم أره من قبل أريد ياسيدى الكاتب أن أعرفه .

أكتب لنا قصته فهو أولى الناس بأن تكتب عنه . لا تهب ياسيدى نبش القبور ، ولا تتردد فى تقليب الذكريات ومجسها من مثواها الأخير ، الثائر فى أعماق الصمت .. فقد مات الإنسان ولا أحد يعرفه ، عاش مغموراً ومات كذلك .. ذهبت الأنات لم تصل إلى أذن ، وتبددت الزفرات لم يشعر بها إنسان إلا أنت .. لقد ثوى الجسد فى القبر وأصبحت الذكريات ملكاً للإنسانية الهائمة على مسرح الأرض . ونحن بشر تجاربنا تدور حول أنفسنا .

نبدأ ثم نعيد ، مغمض الأعين ، مغلق السمع ، مطموس الحس .. فاكتب عنه ياسيدى على ضوء تلك الرسائل التى بعث بها إليك ، فإنك إذ تفعل إنما تضيف إلى تجارب الإنسانية تجارب . وإلى روضة الفن باقة غالية !

إفعل ذلك بحق الفن .. وفى الانتظار ، تقبل تحيات المخلص المعجب :

سعيد كامل

كلية الآداب — قسم الفلسفة

هذه رسالة من بعض رسائل تلقيتها حول قصة الدموع التى شابت . إنها تعبر عن رجع الصدى العميق الذى هز قلوبا ومشاعر وتنوب عن بقية الرسائل فى إظهار المحور النبيل الذى تدور حوله رغبة ورجاء .

ياصديقى الذى كتبت إلى .. لقد كنت أود أن أقص عليك وعلى الناس قصة ذلك الإنسان البائس ، ولكن هناك أحياء سيفجر مداد القلم دماء جراحهم إذا ما كتبت ! . إن وراء السطور مأساة نسج خيوطها القدر ، وقام بإخراجها الزمن ، واشترك فى تمثيلها بعض الناس .. فيهم الشيطان الثائر ؛ وفيهم الملاك الطاهر ، وفيهم الإنسان الشهيد ! أما المسرح فقد كان هناك .. فى الإسكندرية ، وأما النظارة فقد كانوا هنا — فى القاهرة ، كانوا فرداً واحداً يستمع إلى القصة تنقل إليه على أمواج الأثير فى كلمات ، ولكم تناول هذا الفرد الواحد قلمه ليجفف الدموع التى فاضت — ولكنها شابت ! !

وهاهو ذا يحاول اليوم أن يكتب القصة ، ولكنه يقف حائراً بين أمرين : رغبة القراء — ولوعة الأحياء ! ترى هل يرضى الفن فيستجيب لندائه ، أم يخضع لصوت الضمير فيقبض قلمه إلى حين — إلى أن تهدأ الرياح ، وتلتئم الجراح ، وتتكسر أمواج المحنة على شواطئ النسيان ! ؟

إننى فى انتظار الرأى من كل صاحب رأى — وعلى الذين ينشدون عرض المأساة على صفحات الرسالة أن يقدروا هذه الحقيقة وهى أن هناك أموراً على جانب من الخطورة ستذكر ، ولا أمن إذا ما اطلع عليها أصحابها أن يتهدم بيت وتتحطم أسرة ! !

أوربا بين الحلبة والعالم :

أسمع صيحة تتردد على الشفاه أحياناً ، ثم تنتقل من الشفاه إلى الورق أحياناً أخرى ؛ أعنى أنها تنتقل من ميدان الحديث

المسموع إلى ميدان الرأى المكتوب ... وجوهر الصيحة أو خلاصتها هو أن أدبنا لا يمثلنا ، وهدفها أو غايتها هو أننا نريد أدبا مصريا ؛ أدبا ينبئ عن الشخصية المصرية ، ويوحى إلى الطابع المصرى ، ويقبس من بيئتنا صوره وألفاظه ومعانيه !

صيحة يطلقها بعض المتعصبين عن جهل ، ورأى يجهر به بعض المتطلين بغير علم ، و « وطنية أدبية » ينادى بها بعض « القوميين » على غير هدى وبصيرة ... يريدون أدبا مصريا ، ماذا يقصدون بالأدب المصرى ؟ هل يقصدون أن يهمل الكتاب والشعراء والقصاصون كل ما يتصل بالتجربة الشعورية الخاصة ، وبالنفس الإنسانية العامة ، وبالحياة فى كل أفق من آفاقها الرحيبة ، ليفرغوا لكل مشكلة يومية تعترض طريق الكادحين من أبناء الشعب ، وكل ظاهرة اجتماعية تهم المشرعين عن مصالح الناس ، وكل مشهد تقع عليه العين ويلتقطه الخاطر فى نطاق المجتمع الذين يعيشون فيه ؟! أغلب الظن أنهم يرمون من وراء صيحتهم إلى هذا كله ؛ وإلى ما هو أبعد من هذا كله ؛ فإذا رحل الشاعر المصرى مثلا إلى ربوع سويسرا وجادت مخيلته بقائمة شعرية حول بحيرة ليمان قالت له ألف صيحة وصيحة : هذا أدب سويسرى هذه بضاعة أجنبية ، نريد أدبا مصريا نريد بضاعة وطنية ... عندك يا أخى بحيرة البرلس وبحيرة أدكو وبحيرة المنزلة ، ألا ترى أننا فى غنى عن أن نستورد من الخارج ؟ ! وإذا تنقل القصاص المصرى مثلا بين أحياء باريس ثم مكست وبشته بعض صور الحياة فى مونبارناس قالت له ألف صيحة وصيحة : هذا أدب فرنسى هذه آفاق غربية ، نريد أدبا مصريا نريد آفاقا شرقية ... عندك يا أخى حى السيدة والحسين وخان الخليلى ، ألا ترى أننا فى غنى عن أن نستورد من الخارج ؟! وإذا طاف الكاتب المصرى مثلا بأى بلد أوربى فاستمع إلى أدبائه ونقل ما سمع إلى مواطنيه ، أو قضى سنوات بين كتب الغرب ثم تحدث عن رحلته الفكرية إلى قارئيه قالت له ألف صيحة وصيحة : هذا أدب البرنطين هذه أفكار أعجمية ، نريد أدب المطربشين نريد أفكارا عربية ... يا أخى عندنا فلان وفلان وإنهم لمن سلالة الجاحظ وأبى حيان وابن المقفع وابن العميد فمالنا ولجان سارتر وجورج ديهامل وبول كلودل وأندريه جيد ؟ ألا ترى أننا فى غنى عن أن نستورد من الخارج ؟!

هذا هو جوهر الصيحة أو خلاصتها أو هذا هو الهدف الذى تلوذ به وترمى إليه ، وتلك أن ترد الجوهر والهدف مما إلى تلك الدوافع التى حدثتك عنها من قبل ، وتلك أن ترد تلك الدوافع إلى مصدر واحد هو مركب النقص ... يريدون أن يحصروا الأدب المصرى فى بيئتهم لأنهم لا يعرفون غير هذه البيئة ، ويريدون أن يفرضوا على الأدب المصرى ألا يتحدث بغير لغتهم لأنهم لا يفهمون غير هذه اللغة ، ويريدون أن يقصوا أجنحة الأدب المصرى إذا حلق فى غير أفقهم لأنهم لا يطيقون غير هذا الأفق ، ويريدون أن يكتموا أنفاس الأدب المصرى إذا عب من هواء الحرية فى غير جوهم لأنهم لا يستطيبون غير هذا الجو بما فيه من هواء ... ولا يأس من الجمود والركود ، ولا يأس من الخمول والرجعية ، ولا يأس من البقاء فى المأقل دون التطلع إلى ما وراء الأسوار . لا يأس من هذا كله ما دمنا نريد أدبا مصريا ، أدبا يمثلنا ، أدبا لا يصح أبدا أن يتخطى حدود الزمان والمكان ! !

أدب محلى هذا الذى يريدون ، لأنهم لا يدركون أثر العالمية فى الأدب ولا قيمتها فى حساب الخلود ... كلا يا أصحاب الصيحة السافرة والغيرة الصاخبة ، إننا نريد أدبا إنسانيا لا مصريا ، أدبا يقرؤه الذين هنا والذين هناك ، أدبا ينفتح عن مصادر الإلهام ومنابع الوحى فى كل قطر من الأقطار وكل بقعة من البقاع ، أدبا يخاطب الوجدان فى كل نفس بشرية ويستنطق الحياة أينما طافت عدسته بمواكب الأحياء ، أدبا يطالعه القارئ من كل جنس ولون فيحس أنه قد كتب له ، أدبا يصور الخلجة كما تضطرب فى أعماق الصدر ، والحقيقة كما تهدر من أغوار القلب ، والنزعة كما تنحدر من أوكار النفس ، والنزوة كما تتنزى بين قيود الطبع ... وهذه هى المرآة الصافية المصقولة التى تلتقى على صفحتها كل الوجوه ، وتأتلف كل المشاعر ، وتتعانق كل الأرواح . هنا وفى كل أرض يرتفع فوق ثراها صوت الفن ، وترفرف فى سمائها راية الفكر ، وتتجاوب فى أرجائها صيحات الباحثين عن أنفسهم فى زحمة هذا الوجود ! !

إنك لن تجد فى فرنسا من يقول نريد أدبا فرنسيا ، ولن تجد فى روسيا من يقول نريد أدبا روسيا ، ولن تجد فى ألمانيا من يقول نريد أدبا ألمانيا ، ولن تجد فى إنجلترا من يقول نريد أدبا